أثر محتوى منصة نتفلكس للإنتاج السينمائي على الثقافات المحلية

الانتاج السينمائي تزداد أهميتة يوما بعد يوم كأداة للتأثير على المجتمعات، حيث تلهم الأفلام الناس ليعملوا على أحلامهم، كما تعلمهم دروسًا قيمة، وتستطيع التأثير على المشاهد وإيصال رسائل له، وينتج عن ذلك تغيير قناعات المشاهد أو مبادئه أو حتى تغيير حالته النفسية ومساعدته على التطور كإنسان، حيث تعتبر السينما من أكثر الوسائل الاتصالية تأثيرًا في جميع الفئات المُختلفة في المجتمع، حيث أنها تحولت من أداة لمُجرد التمثيل إلي أداه لتعليم ومُحاكاة الواقع، وإحداث تغيير في مسارالبلاد، بالإضافة إلي عرضها المشاكل التي يمُر بها المجتمع حتى لو لم يكن دائمًا بشكل إيجابي لما تتمتع به من مقومات لجذب الانتباه والتأثير الفعال النابع من خلال تجسيد القصص والروايات وواقع الحياة وقضايا الانسان والمجتمع بكافة أشكالها.

ويعد الانتاج السينمائي عبر المنصات الرقمية من أهم الظواهر الحديثة في أنماط مشاهدة الدراما التلفزيونية التي كان مصدرها الاساسي هو التلفاز، فجاءت المنصات الرقمية لتقوم بهذا الدور بشكل أسرع يصل لكل مشاهد بطريقة سريعة وذلك مع دخول وتطورالعصر التكنولوجي بكافة أشكاله، فمع ظهور منصات الفيديو الرقمية وتبني الجمهور لهذا النوع من المشاهدة، ظهرت حقبة جديدة من الاعمال الدرامية المتنوعة بالاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة، وقدمت أفضل الافلام وجعلتها بين أيدي الجمهور بشكل يسهل متابعته وبطرق تختلف كثيرا عن مشاهتها عبر القنوات التلفزيونية (الشنار، ٢٠١٨).

وبما أن تلك الخدمات تتنافس على الاشتراكات، فإن ما يؤدى إلى جذب المستخدمين المحتملين إلى خدمة على أخرى قد يبتعد عن المحتوى الفعلي الذي تقدمانه، بقدر ما يعتمد على الطرق التي يتم إنتاج المحتوى وتنظيمه والتوصية به عن طريق التكنولوجيا الخوارزمية، وهو ما يعني أن الصناعة ستشهد تسارعًا في التطوير الاستراتيجي وتنفيذ الخوارزميات، الأمر الذي سيؤدي -بدوره- إلى زيادة أهمية وجودها وانتشارها واحداث تحولات فى تلك الصناعة بين ما ههو تقليدى وما هوا مستحدث (هاشم،٢٠٢٢).

وشركة نتفليكس تعد احدى الشركات المنتجة فنيا والعاملة في مجال صناعة الافلام والانتاج السينمائي، فهي شركة ترفيهية أمريكية أسسها ريد هاستنغز ومارك راندولف في ٢٩ أغسطس ١٩٩٧، في سكوتس فالي، كاليفورنيا. تهتم بتقديم خدمة البثّ الحي والفيديو حسب الطلب مع توصيل الأقراص المدمجة من خلال البريد. في عام ٢٠١٣، وقد توسعت شركة نتفليكس بإنتاج الأفلام والبرامج التلفزيونية، وتوزيع الفيديو عبر الإنترنت (عماد،٢٠١٩).

وبالنظر إلى منصة نتفلكس، يتضح أن الشبكة قد بدأت خدماتها كشركة متخصصة في تأجير أقراص الفيديو (DVD)، وتحولت الشبكة نحو إطلاق خدمة بث الفيديو عبر الإنترنت في عام ٢٠٠٧، وتشعبت رسميًا إلى الأسواق الدولية منذعام ٢٠١٠ مع إطلاقها في كندا. ومع حلول عام ٢٠١١ اطلقت في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، وامتدت إلى أوروبا في عام ٢٠١٢، وأصبحت متاحة رسميًا في المملكة المتحدة وأيرلندا ودول الشمال. ومع حلول عام ٢٠١٥ وقد واصلت نتفلكس مسيرتها في جميع أنحاء العالم ، وأطلقت أخيرًا خدمتها في أستراليا ونيوزيلندا واليابان ومواقع أخرى. واعتبارًا من عام ٢٠١٦، أصبحت نتفلكس متاحة في جميع أنحاء العالم تقريبًا باستثناء عدد قليل من البلدان ،وعملت على توسيع خدماتها عالميًا؛ وفي يناير من عام ٢٠١٦، عملت الشركة على توفير خدماتها حول العالم في أكثر من ١٩٠ دولة. وتتوفر خدمة نتفليكس في الوطن العربي فيما ما عدا سوريا نتيجة العقوبات الأمريكية (كريزم،٢٠٢٠).

وتعتبر نتفلكس هي الفائز الأكبر من ثورة البث عبر تقنية الإنترنت، حيث تتجهه نسبة ١٥٪ من حركة مرور الويب في العالم إلى نتفلكس التي شهدت نموًا هائلًا في عدد مشتركيها الذي وصل فى الربع الثالث من عام ٢٠٢١ ما يقرب من ٢٢١,٨٤ مليون مشترك. وفي خلال الفترة من (٢٠١٨-٢٠٢٠) أضافت نتفلكس ما يقرب من ١٠٠ مليون مشترك جديد للخدمة. وتتكون القاعدة الكبيرة من مشتركي نتفلكس في كل من الولايات المتحدة وكندا، ما يزيد على ٣٥٪ من عدد المشتركين على مستوى العالم في المنصة. ومع حلول عام ٢٠٣٠ تخطط "نتفلكس يكون لديها ٥٠٠ مليون مشترك على مستوى العالم.

وقد اختلف أصحاب الرأى فى مختلف التخصصات سواء المتخصصين في العلوم السياسية أو الاجتماع أو الجماليات أو الأدب أو الفنون البصرية الذين حاولوا دراسة كيفية تأثير المنتجات الثقافية على الجماهير.فهناك من الأفلام التي تقدم المعلومات أو التي تعمل على تكوين وتشكيل المفاهيم مع التطور التكنولوجي، والتى تعتمد على المنتجات الثقافية البصرية زاد التأثير البصرى.

وبرغم أن غرس القيم الاخلاقية فى نفوس الشباب والمراهقين يعتبرهو دور الأسرة والتعليم الا أن وسائل الاعلام لها دور أكبر حيث يعتمد الشباب عليها ويتعرض لها بنسبة كبيرة. ولذلك تكمن خطورة السينما فى الدور الذى تلعبه فى توجيه سلوك الناس وتعديل قيمهم الاجتماعية والاخلاقية بل وتغيير أسلوب حياتهم الذى اعتادوا عليه فى كثير من الاحيان. هذا بالاضافة إلى دورها الهام فى تأثيرها الايجابى فى النواحى الثقافية، الاجتماعية والدينية والسياسية إلى جانب الناحية الترفيهية. فنجد أن ناس كثيرة تستقى معلوماتهم من الافلام السينمائية برغم من وجود معلومات غير دقيقة فى بعض الاحيان. كما تُناقش الافلام السينمائية قضايا هامة

أو قضايا جريئة وهادفة. كما أن السينما ساعدت المشاهد على تخطى أزماته واجتياز صعوبات حياتية عديدة (كيلانى،٢٠١٦).

حيث تلعب السينما دورا فاعلا في التطور والتقدم الثقافي والحضاري لدى الشعوب ، حيث تعتبر عاملا مؤثر وفعال في الحياة الاجتماعية . واذا ذهبت السينما باتجاه الأهداف التجارية والربحية ، سوف تفشل في تحقيق الأهداف الثقافية والإعلامية لها . ولأجل ذلك تلعب السينما أدورا أساسية ومهمة في التثقيف والإرشاد كباقي وسائل الإعلام الأخرى ، حيث تعتبر السينما من أكثر وسائل التعبير خطورة ومن أكثرها تأثيرا في المجتمع(نهاروخيان،١٩٩٦)

وفي ظل تطور ثقافة استهلاك الوسائط الرقمية عبر الإنترنت، وانتشار ظاهرة منصات الانتاج السينمائي العالمية الرقمية ، وازدياد أعداد متابعيها حول العالم وفي الشرق الأوسط مؤخرا وتداعاياتها.

حيث برزت انماط اتصالية حديثة وعلى وجه التحديد "منصة نتفليكس ويأتى هذا مع انتشار منصات بث الفيديو عبر الإنترنت، ورواج مضامينها، وازدياد أعداد متابعيها حول العالم في الشرق الأوسط مؤخرا، والتي أدت إلى ظهور أشكال اتصالية مستحدثة وعلى وجه التحديد منصة نتفليكس ستأتي إشكالية هذا البحث حول منصة نتفليكس وما تقدمه خدمات البث من محتويات ومضامين وأفكار وقيم تتوافق أحيانًا وتتناقض كثيرا مع القيم والثقافة المجتمعية التي يعرض فيها المحتوى المقدم؛ الأمر الذي قد ينتج عنه تأثير على المجتمع بمرور الوقت وخاصةً لدى هؤلاء الذين يفرطون في مشاهدة المحتوى المقدم عبر تلك المنصة فى مجال الانتاج السينمائى .

ومن الملاحظ أن شركة نتفلكس من خلال طبيعة أعمالها وحملات الدعاية التي تقوم بتصميمها وبثها تستهدف فئة الشباب وخاصة المراهقين منهم، وذلك لأنهم تربة خصبة لزرع الأفكار التي من شأنها أن تعمل على زعزعة الأمن الفكري والأخلاقي للمجتمع ، وقد وصلت نسبة مشاهدي منصة نتفلكس حول العالم في العام ٢٠٢٠ إلى حوالي ١٧٠ مليون تشكل نسبة الشباب والمراهقين منهم حوالي ٥٥%، أي أن غالبية متابعي هذه المنصة هم من الشباب والمراهقين، وقد ازدادت هذه النسبة عنها في العام ٢٠١٥ حيث بلغت ٣٤%، وهي مرشحة للزيادة أكثر في ظل الأوضاع التي نعيشها اليوم بسبب تداعيات جائحة كورونا، وهذا غير تسهيلات الاشتراك في هذه المنصة التي تتيح إمكانية الاشتراك فيها لجميع الفئات العمرية والاقتصادية، وفي الآونة الأخيرة تزايدت نسب المشاهدة على هذه المنصة، حيث بلغت نسبة من يشاهدون هذه الأعمال عدة مرات ولمدة ساعات في الأسبوع ٦٤% من المتابعين وهذا مؤشر خطير يجب أن يتم الانتباه له والتعامل

معه(الجعيد،٢٠٢٠). حيث تكمن خطورة موقع نتفلكس على مجتمعاتنا وبشكل خاص فئة الشباب والمراهقين فيها من أن هذه المنصة تستخدم الأعمال الدرامية مثل الأفلام والمسلسلات لترويج ونشر الأفكار الغير أخلاقية والدينية المنحرفة والشاذة، والتي لا تتناسب مع عادات وقيم وأخلاق مجتمعاتنا الإسلامية المحافظة ومنصة نيتفليكس محل الدراسة تعد أهم منصات المشاهدة الرقمية حول العامل حيث تقدم خدماهتا فى ١٩٠ دولة حول العامل ويصل عدد مشركيها حى الان حوالى ١٩٣ مليون مشترك

والأمر الذى يزيد من خطورة تلك المنصةعلى عامة وبشكل خاص فئة الشباب عينة الدراسة الحالية، حيث لاحظ الباحث بعد مراجعة الدراسات السابقة ومن الملاحظات الشخصية مع الشباب فى فلسطين، أن مشاهدة محتوى الانتاج السينمائى عبر منصة نيتفليكس له تأثير على الثقافة والهوية لديهم. حيث تعود فكرة الهيمنة الثقافية إلى كتابات الفيلسوف الماركسي، أنطونيو غرامشي، حيث رأى غرامشي أن السلطة تأتي من الإقناع، وأن الأفكار هي من يتحكم في الشعوب وليس العكس.و تقع كل القيم المجتمعية والتقاليد والعادات المتعارف عليها ضمن هذا الإطار.

حيث يتبين أن الغرس الثقافى الذي تقوم به نتفليكس فى يُراد له أن يطمس التاريخ والهوية، في الوقت الذي تُمحى فيه الجغرافيا باستخدام الوحشية والقتل، لذلك من المهم أن يكون لدينا وعي بخطورة هذا الكم الكبير من المحتوى الذي يتعرض له الشباب الفلسطينى، والذي يعمل على تزييف الوعي والذاكرة التاريخية، واختراق عقولهم وقلوبهم من خلال القوالب الفنية، والمؤثرات البصرية المدهشة التي تغدق عليها نتفليكس ببذخ واضح؛ لتتسلل بهدوء إلى عقولنا وقلوبنا من خلال هذا المحتوى الجذاب والموجه، وأخطر ما في هذا المحتوى هو أنه أصبح موجودًا بكثرة أمام أعيننا، وبين شريحة واسعة من الشباب والمراهقين.

فتأثير محتوى منصة نتفلكس للإنتاج السينمائي على ثقافة الشباب ، والتي تحمل في طياتها الأبعاد الثقافية المختلفة سواء من الناحية الإيجابية أو السلبية بوجه عام وما تشكله ظاهرة الانتاج السينمائى عبر منصة نتفلكس الرقمية من خطورة على ثقافة المجتمع و ترابطه حيث يهتم البحث بتأثير محتوى منصة نتفليكس بكثافة من الانتاج السينمائى وبشكل متسارع؛ وخطورة ما تحتويه تلك المنصة من مضامين قد تحتوي على قيم وعادات أجنبية قد تتفق أو تختلف مع الثقافات المحلية و قيم وعادات المجتمعات المحلية؛ إذ تركز عملية الغرس الثقافى على دراسة اتجاهات الجمهور نحو دور وسائل الإعلام الجديد في تعزيز الوعي الثقافى. وجاء

اعتماد الباحث على هذه النظرية في دراسته لتأثير محتوى منصة نتفلكس للإنتاج السينمائي على الثقافات المحلية لما لها من تأثيرٍ كبيرٍ وسعة انتشارٍ، قد تؤثر بدرجةٍ كبيرةٍ في رفع درجة الوعي على الثقافات المحلية.

المراجع:

- حنان كيلانى ، تأثري النموذج القدوة فى الافلام السينمائية المصرية على اتجاهات الشباب فى المجتمع المصرى،٢٠١٦، المجلة العلمية لبحوث الاذاعة والتليفزيون – العدد الثاني عشر، ص ٨٥-١٣٤.
- خالد كريزم، خالد ،(٢٠٢٠)، مقال بعنوان نت فليكس... لماذا تحرض على إقحام المثلية الجنسية في أعمالها، موقع صحيفة الاستقلال، نشر بتاريخ:٢٠٢٠/١/٢٦.
- داليا عثمان، تأثير مشاهدة المسلسلات المقدمة على منصة نيتفلكس على النسق القيمي للمراهقين دراسة كيفية،المجلة العربية لبحوث الاعلام والاتصال،٢٠٢٠،العدد٣١، ص ١٦٨-١٩٩.
- دعاء أحمد محمد،٢٠٢١ مستويات تبني الشباب المصري للمنصات الرقمية الإعلامية لتداول المحتوى الترفيهي وآثارها (Netflix - Shahid - Watch it)، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام ،مج٢٠،ع٢، جامعة القاهرة - كلية الإعلام - مركز بحوث الرأي العام ،ص٤٧٩-٥٥٩.
- غادة أحمد النشار، تأثير التعرض للدراما عبر المنصات الرقمية على أنماط علاقة الشباب بالدراما التلفزيونية، المجلة العلمية لبحوث الإذاعة والتليفزيون،٢٠١٨ ،العدد الثالث عشر،ص٤٣٩-٤٧١.
- محمد عبدالحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير،٢٠٠٤، ط ٣، القاهرة، عالم الكتب.
- نفيسة، عماد ،٢٠١٧، ماهي شبكة نت فليكس كيف أشترك فيها، موقع عنب بلدي، نشر بتاريخ:.٧/٤.
- نهاروخيان،عادات الفرد والثقافة السينمائية في الأردن . مطبعة مادبا،١٩٩٦،ص١١.